

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ: شرب العسل.

تَبْتَغِي: تطلب.

تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ: تحليلها بالكفارة.

وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ: ناصركم ومتولى أموركم.

حلف رسول الله ﷺ في مواجهة بعض المشكلات العائلية المثارة من قبل زوجاته، بأنه لن يشرب العسل أبداً، ولكن فعل الرسول تشريع؛ فكل ما يلزم به نفسه يصير نموذجاً يحتذى به بالنسبة إلى أمته جمعاء، ولذلك أمره الله سبحانه بأن يتحلل من يمينه بأداء كفارتها الشرعية، ويعود بالتالي إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه مما هو حلال له، ذلك لكيلا يأخذ أفراد أمته فيما بعد في اجتناب العسل وعدم تناوله مطلقاً باعتبار هذا العمل من لوازم الورع والتقوى!!

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ

إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَتٍ قَبِيْلَتٍ تَنَبَّيْتِ عِبْدَاتِ
سَتِيْحَتِ تَنَبَّيْتِ وَأَبْكَارًا ﴿١٠﴾

نَبَّأْتُ بِهِ : أَخْبَرْتُ بِهِ غَيْرَهَا.

وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ : أَطْلَعَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى إِفْشَائِهِ.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا : مَالَتْ عَنْ حَقِّهِ ﷺ عَلَيْكُمَا.

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ : تَتَعَاوَنَا عَلَيْهِ بِمَا يَسُوؤُهُ.

هُوَ مَوْلَاهُ : وَلِيهِ وَنَاصِرُهُ.

ظَهِيْرٌ : فَوْجٌ مَظَاهِرٌ مَعِيْنٌ لَهُ.

قَانِنَاتٍ : مَطِيْعَاتٌ خَاضِعَاتٌ لِلَّهِ.

سَائِحَاتٍ : مَهَاجِرَاتٍ ، أَوْ صَائِحَاتٍ.

تَعْقِيْباً عَلَى الْحَادِثِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ، جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تَلَفَتْ انْتِبَاهَ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ إِلَى خَطَرِ مَا أَحْدَثَهُ بَعْضُهُنَّ مِنَ الْأَزْمَةِ الْعَائِلِيَّةِ فِي بَيْتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِأَسْلُوبٍ يَشْبِهُ التَّهْدِيدَ وَالْإِنْذَارَ، وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَمِيَّةُ النِّسَاءِ فِي شُؤْنِ الْحَيَاةِ .. وَالْحَقِيْقَةُ أَنَّ النِّسَاءَ هُنَّ " النِّصْفُ الْأَفْضَلُ " لِأَزْوَاجِهِنَّ إِذَا قَمْنَ بِوَاجِبِ مِرَافَقَتِهِمْ عَلَى خَيْرٍ مَا يَرَامُ مِنَ الصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ .. وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَرْضَيْنَ بِأَدَاءِ دَوْرِهِنَّ كَرَفِيْقَاتٍ مُخْلِصَاتٍ عَلَى مَدَى الْعَمْرِ، فَإِنَّهُنَّ يَسْتَطْعْنَ إِحْبَاطَ مَشْرُوعِ إِنْسَانٍ هَادِفٍ بِأَكْمَلِهِ بِإِثَارَةِ الضَّجَّةِ أَوْ الشَّغْبِ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَوَافِهِ الْأُمُورِ !!

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

قُوا أَنْفُسَكُمْ: جنبوها بالطاعات.

غِلَظُ شِدَادٍ: قساة أقوياء وهم الزبانية.

كثيراً ما يحدث في حياتنا الراهنة أن المرء ينظر إلى بعض الأشياء على أنه حق، ولكن حبه الزائد الشديد لزوجته وأولاده يحمله على ترك ما يعتقده في قرارة نفسه حقاً، وفعل ما يرضي أولاده وزوجته ولو بالوسائل اللامشروعة أو الطرق غير المحمودة، بيد أن هذا خطأ وخيم العواقب، فلْيأخذ المرء في حسابه دائماً أن أولاده هؤلاء الذين يبالغ في الاعتناء بتلبية رغباتهم لدرجة أن ينسى - أو يتناسى - معها الاعتناء بالحق، سيتم تسليمهم غداً، من جراء سلوكهم المنحرف هذا، إلى زبانية جهنم الموكلين بتعذيب أهل النار، وهم من القسوة والغلظة بحيث لا يعرفون اللين والرحمة، كالإنسان الآلي (الروبوت)، وإنما همهم الوحيد أن ينفذوا ما وُكلوا به فوراً بلا هوادة ولا محاباة!!

﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

تَوْبَةً نَّصُوحًا: خالصة، أو صادقة أو مقبولة.

لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ: لا يذله بل يعزه ويكرمه.

وَضَعَ الإنسان في هذا العالم وسط ظروف وأحوال مهيأة للامتحان والاختبار، ولذا فلا مندوحة للإنسان هنا من الوقوع بين حين وآخر في خطأ ما، ولكن بإمكانه أيضاً أن

يتلافى ذلك بالتوبة، أي بالرجوع إلى الله. وحقيقة التوبة هي الندم ولو أحس المرء بسوء ما فعل حقاً، لأصيب بأشد حالات الندم والأسى، مما سيرغمه على تجنب ذلك الفعل فيما بعد قدر المستطاع .. ومن ثم جاء في الحديث : " الندم توبة " . كما روي عن بعض الصحابة، وهو يصف الإنسان التائب، قوله : " يتوب ثم لا يعود " . والتوبة هي ما كانت توبة نصوحاً أي صادقة . وهي ليست علماً على التفوه ببعض الكلمات وترديدها دون وعي أو ندم، فعن عليّ ؑ أنه سمع أعرابياً يقول : " اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك " وذلك على إثر اقترافه بعض الذنوب، فقال علي : " يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين .. " إن التوبة الصادقة هي نور الآخرة، بينما التوبة الكاذبة ستقلب ظلاماً في الآخرة !

﴿ يَتَّيِبُهُمُ النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٠ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ ١١ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ١٢ ﴾

وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ: شدد. أو اقس عليهم.

فَخَانَتَاهُمَا: بالنفاق أو النسيمة.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا: فلم يدفعوا ولم يمنعا عنهما.

إن الأمر بجهاد المنافقين - إلى جانب جهاد الكفار - هنا يعني تناوهم بالمحاسبة الشديدة ، وهذا حكم دائم، حيث ينبغي للكبار والمسئولين في المجتمع الإسلامي أن يتعهدوا أفراد المجتمع بالإشراف والرعاية دائماً، ويرصدوا كل تحركاتهم بعيون ساهرة، فمن واجبه إذا ما رأى أحداً منهم يباشر ما لا يليق به كفرد مسلم، أو يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر، أن يحاولوا منعه من ذلك بكل الطرق والأساليب الممكنة ، وإن

الإنسان ليس ينفعه عند الله يوم القيامة شيء سوى عمله الذاتي، حتى قرابته من الصالحين أو انتسابه إليهم لن يغني عنه يومئذ شيئاً. فلقد كان نوح ولوط نبيين عظيمين من أنبياء الله، غير أن زوجتيهما لم تكونا وفيتين لهما بإضرارهما المودة القلبية والولاء لأعداء الحق، مما أدى إلى انخراط كل واحدة منهما، رغم كونها في عصمة النبي، في سلك أهل النار!!

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِلِ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجْفًا﴾

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا: عفت وصانته من الرجال.

مِنْ رُوحِنَا: روحاً من خلقنا بلا توسط أب (عيسى).

مِنَ الْقَوَاتِلِ: من القوم المطيعين لربهم.

كان فرعون رجلاً كافراً وظالماً، ولكن زوجته (آسية بنت مزاحم) كانت امرأة مؤمنةً صالحةً، ولما أخذت الزوجة نفسها بال التزام طريق الصلاح والاستقامة، لم يضرها فساد الزوج شيئاً، حيث أُلقي بالزوج في نار جهنم، بينما حظيت الزوجة بمقام أمين كريم في جنات النعيم!!

قوله: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ كناية عن الحفاظ على عفتها، فقد ظلت السيدة مريم

- عليها السلام - عفيفةً طاهرةً مصونةً من كل ما يחדش الشرف أو العرض مذ كانت طفلة صغيرةً إلى أن بلغت سن الشباب، ومن ثم اختارها الله سبحانه لتكون أمّاً للنبي "المعجزة"، وقد نفخ جبريل بأمرٍ من الله - كما ورد في بعض الروايات - نفخةً في جيب قميصها، فحملت بسيدنا عيسى عليه السلام بدون أب!